دور فرنسا في الإصلاحات العثمانية خلال عهد سليم الثالث 1789-1807

الأستاذ كمال حسنة، جامعة تيارت

الملخص:

شهدت فترة حكمه السلطان العثماني سليم الثالث1798-1807 مجموعة من الإصلاحات في ميادين مختلفة ابررها الميدان العسكري، الذي مثل الحلقة الأضعف في الدولة العثمانية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ونظرا لتأثره بالنموذج الفرنسي طالب من فرنسا الحصول على مهندسين وضباط لتكوين العثمانيين على المناهج الحديثة.

يمكن تقسيم الدور الفرنسي في الإصلاحات العثمانية إلى مرحلتين،الأولى قبل الحملة الفرنسية على مصر، والتي كان فيها للمهندسين والمدرسين وحتى السفراء الفرنسيين بإسطنبول دورا كبيرا في دعم البرامج الإصلاحية العثمانية، خاصة في الميدان العسكري، والتي سمحت للسلطان العثماني بتأسيس ما سمي" بالنظام الجديد".

رغم القطيعة العثمانية الفرنسية بسبب الحملة على مصر إلا أن المساعدات الفرنسية عادت من جديد بعد الصلح بين الطرفين، وهي المرحلة الثانية من الدور الفرنسي في الإصلاحات العثمانية، حيث وافق نابليون في عهد القنصلية والإمبراطورية بمواصلة دعم السلطان العثماني في إصلاحاته، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تقوية مكانة فرنسا لدى الباب العالي، ومجابهة النفوذ الروسي الذي بقي يهدد العاصمة العثمانية باستمرار.

كان الاعتماد على الفرنسيين والأوروبيين أحد الأسباب التي أدت إلى ظهور المعارضة ضد سليم الثالث قبل التيار المحافظ، الذي تمكن من الإطاحةبه، وراح بذلك ضحية إصلاحاته التي أرادها أن تكون على النمط الغربي الأوروبي.

The Summary : The reign of the Ottoman Sultan Salim III (1798-1809) witnessed several improvements in different domains, especially the military field. The later was the weakest link in the Ottoman state during the second half of the eighteenth century. He was influenced by the French model, therefore he asked France about inspectors and officers to form his military on their modern methods.

We can divide the French role in the Ottoman reforms into two stages. The first stage is before the French campaign upon Egypt; in fact there were French engineers, teacher, and also ambassadors who played a significant role in supporting the Ottoman changes at the level of military, the fact that brought “The Modern System” to life.

Besides the Ottoman French disagreements on the French campaign, the French aids continued after the reconciliation of both countries, and this is the second stage of the French role. Napoleon agreed to support the Ottoman reforms during his imperial; he aimed to strength the French position against the Russian authority which threat the Ottoman’s capital constantly.

The French and the European depending was one of the reasons that made the opposition against Salim III appeared before the conservatives overthrew him. Indeed, he was victimized by his new changes that he wanted to be as the European style.

الكلمات المفتاحية:

سليم الثالث،نابليون،الإصلاحاتالعثمانية،فرنسا،النموذج الفرنسي، المساعدات الفرنسية، المهندسين الفرنسيين، النظام الجديد، الميدان العسكري.

Salim III, Napoleon, Ottoman reforms, French, French model, French engineers, The French aids, The Modern System, Level of Military,

مقدمة:

إن التحالف الذي وُقع بين سليمان القانوني وفرنسوا الأول منذ الربع الأول من القرن السادسعشر لم يكن شكلاً من غير مضمون، بل وعلى العكس من ذلك فقد كان لفرنسا على الدوام مركزاً مميزًا داخل الدولة العثمانية، لذلك فالسلطة السياسية في اسطنبول لم تكن قادرة على النظر إلى كل دول أوروبا كقوى معادية من غير تمييز[1].

هذا ما يفسر إقدام سليم الثالث قبل وصوله إلى العرش، على بعث رسالة إلى الملك الفرنسي لويس السادس عشر، عبر له فيها عن رغبته في إقامة علاقات ودية وتحالف ثابت مع فرنسا، كما أنه قد أرسل أحد أعوانه وهو إسحاق باشا إلى باريس، للتشاور حول مستقبل العلاقات الفرنسية العثمانية، ومن جهة أخرى كان سليم الثالث معجبا بالحضارة الغربية منذ صباه[2].

وصل سليم الثالث إلى سدة الحكم في عام الثورة الفرنسية 1789، لكن هذا الحدث لم يغير من أفكاره حول التحالف العثماني الفرنسي وإمكانية التحديث المعتمد على المساعدة الفرنسية. والإشكالية المطروحة في هذا الصدد:ما هي أبرز مظاهر الدعم الفرنسي للإصلاحات العثمانية خلال عهد السلطان سليم الثالث؟

سليم الثالث والإصلاحات:

إن سليم الثالث هو أحدسلاطين القرن الثامن عشر الذين دفعهم خلافهم مع قوات الإنكشارية وعدم اقتناعه بقدراتهم،إلى الاندفاع في تيار الإصلاح،أما البارز في عهده فهو إقامتهلأول تجربة من نوعها في الإطارالإسلامي، وتتمثل في إصلاح عسكري واقتصادي شامل،أما نموذج الإصلاح فهو المثال الفرنسي.

ولتجسيد مشروعه الإصلاحي أحاط سليم الثالثنفسه بهيئة استشارية [3]، تتكون من 22 شخصا لتحضيربرامج الإصلاح،من بينهم فرنسي يسمى برتروندBertrand) (، الذي عمل في الجيش العثماني،إضافة إلى المترجم الأرميني موروجادوهسون(Mouroudja D’ohsson)الذي كان يتكلم اللغة الفرنسية جيدا[4].

وهذا بحد ذاته ذو مغزى فلم تكن الاستعانة بغير مسلم لمنصب رفيع لتعيق هذا السلطان، الذي وضع نصب عينيه نموذجا أوروبيايحتذ به، وبالتالي فان قيام عهد سليم الثالث قدَ وضح بان السلطة الحاكمة في إسطنبول قد قطعت شوطا كبيرا في علاقاتها مع الدول الأوروبية[5].

أما عن الدور الفرنسي في الإصلاحات العثمانية فلقد كان فعالا من دون شك،حيث ساهم الضباط والخبراء الفرنسيون في إنجاح مشاريع الإصلاح، عن طريق مساعدة الدولة العثمانية في التدريس والتدريب، وتسيير المؤسسات العسكرية[6].ويمكن تقسيم هذا الدور إلى مرحلتين أساسيتين.

مرحلة ما قبل الحملة الفرنسية على مصر: كان الدور الفرنسي في إصلاح المؤسسات العسكرية العثمانية بارزا ، حتى قبل عهد سليم الثالث، حيث تكررت المبادرات الفرنسية طيلة القرن الثامن عشر[7]، فالسلطان مصطفي الثالث وخليفته عبد الحميد الأول استعانا بخبرات البارون دو توت(Le baron de Toot)الفرنسي، الذي كان عليه بموجب مهمته أن يدرب و يدرس طلابه من الضباط العثمانيين الفنون العسكرية والرياضيات الحديثة،كما استقبلت اسطنبول في عهد عبد

الحميد الأول عام 1784 بعثة فرنسية [8]، مكونة من عشرات الخبراء على رأسها السفير الفرنسي باسطنبول وعضو الأكاديمية الفرنسية قوفييه (Gouffier)[9]، الذي كان من مهامه المساهمة في إصلاح المؤسسات العسكرية والإدارية العثمانية، فدعي إلى ضرورة الأخذ الوسائل العلمية الحديثة.

هذا بالإضافة إلى الدور الكبير الذي لعبه الجنرال الفرنسي لافييت(Lafitte)[10]، في إنجاح مشاريع الإصلاح، من خلال إشرافه على تعليم العثمانيين مختلف مناهج وفنون الحرب الحديثة[11].

في تلك الفترة كانت فرنسا مستعدة لاستقبال البعثة العثمانية التي أعدها الوزير خليل حميد، و التي كانت تزمع الالتحاق بمعاهد فرنسية، لكن البعثة لم تغادر اسطنبول[12]، بسبب المؤامرة التي أطاحت بالوزير حميد[13]، من قبل التيار المعارض للإصلاح[14].

أقدمت فرنسا على تقديم هذه المساعدات والتسهيلات من اجل تقوية الدولة العثمانية، بعد ما رأت أن الطموح الروسي يهدد مصالحها في المنطقة[15]، لذلك استمر الدور الفرنسي في الإصلاح العثماني خلال عهد سليم الثالث، والذي يعتبر امتداد للمجهودات التي بذلتها فرنسا في القرن الثامن عشر.

لكن في الفترة الممتدة من بداية الثورة الفرنسية إلى غاية 1792 ليس لدينا ما يشير إلى وجود مبادرات فرنسية مماثلة، وهذا راجع إلى انشغال فرنسا بمشاكلها الداخلية بسبب ثورتها، في حين كانت الدولة العثمانية لا تزال في حروب مع النمسا وروسيا.

بادر سليم الثالث إلى طلب المساعدة الفرنسية رسميا خلال خريف 1793، حيث أرسل الباب العالي إلى فرنسا قائمة باحتياجات الدولة، من الضباط والتقنيين لتنفيذ التدريبات وإدارة المعاهد الجديدة ولقد لبت الحكومة الفرنسية الطلبات العثمانية،وكان نابليون)(Napoléon عام 1794 يفكر في العمل على خدمة السلطان العثماني وقيادة قواته المدفعية، حيث أن طموحاته غير المحدودة جعلته يفكر في مغادرة فرنسا ليصنع اسما له في المشرق[16].

رغم أننابليون قادته الأحداث إلى حروب في أوروبا،بدلا من أن يتوجه إلى اسطنبول لمساعدة السلطان العثماني في إصلاحاته،إلا انه أكد في 30أوت1795 انه في وقت وطدت فيه قيصر روسيا كاترين الثانية (CathrineII)صداقتها مع النمسا،أصبح من مصلحة فرنسا أن تعمل كل

ما في وسعها لتحسين وتطوير الجهاز العسكري العثماني، وأضافأن قوات السلطان عددها كبيرلكنها تجهل فنون القتال الحديثة.

أما فيما يخص المساعدات التي طلبتها الدولة العثمانية من فرنسا فقال نابليون:"... بعدما أحس الباب العالي بضعف قواته، طلب عدة مرات ضباط المدفعية، ولدينا بعضهم الآنلكن عددهم قليل وليسوا مكونين بما فيه الكفاية لتدريب وتدريس العثمانيين ..."[17].

ومن جهة أخرى أكد نابليون رغبته الكبيرة في الذهاب إلى اسطنبول ومن جملة ما قاله في الموضوع "... لقد قمت ببعض التمارين والتحضيرات في قيادة جسم المدفعية لجيوشنا في مراحل مختلفة، خاصة مع القوات الموجودة بطولون، وسأتطوع للذهاب إلى اسطنبول إذا طلبت مني الحكومة الفرنسية ذلك، وسأصطحب معي ستة أوسبعة ضباط، كل واحد منهم يكون متخصصا في ميدان من العلوم التي لها علاقة بالحرب..."[18].

كان نابليون يرغب في الخروج من فرنسا لتحقيق طموحاته، لو منحت له الفرصة من قبل الحكومة الفرنسية، لكن التطورات التي حدثت في أوروبا دفعته إلى خوض حروب توسعية في ايطاليا بدل التوجه إلى المشرق،ومنذ ذلك الوقت تأكد انه رجل مغامر أراد أن يصنع اسما لنفسه خارج القارة الأوروبية.

إن اهتمام حكومة الإدارة بمساعدة الدولة العثمانية في إصلاحاتها بدأ يأخذ وتيرة متصاعدة، خاصة وأن فرنسا كانت قد خرجت من أزمتها الداخلية منذ سنة 1795، لذلك كلفت الحكومة الفرنسية سفيرها الجديد في اسطنبول ريمون فرنيناك(R .Verninac) بمساعدة الدولة العثمانية في إصلاحاتها العسكرية ، حيث وضعت تحت تصرفه عدة ضباط فرنسيين ، عملوا من اجل الدخول في خدمة الباب العالي[19]، ومساعدة السلطان العثماني في إصلاحاته خاصة العسكرية منها[20].

كانت حكومة الإدارة تكلف سفرائها في اسطنبول بمساعدة الباب العالي في الإصلاحات العسكرية، وبعد أن تم تعيين أوبير دوبي(A .Dubayet) سفيرا لها باسطنبول في أكتوبر عام 1796، كلفته بدوره بأخذ بعض المدافع لاستعمالها كنماذج في التدريبات، كما رافق هذا السفير إلى اسطنبول بعض الضباط ورجال المدفعية، قصد القيام بتكوين العثمانيين، وتوجيه الأعمال

الخاصة بصناعة الأسلحة ، إضافة إلى تقديم دروس للجيش العثماني حول طريقة استعمال الأسلحة[21].

استمرت المساعدات الفرنسية ببعث ضباط ومكونين إلى اسطنبول، حتى سنة 1798حيث كان السلطان سليم الثالث يطلب في كل مرة خبراء ومدربين خاصةمن فرنسا والسويد.[22]

أما عن الإنجازات التي حققت في هذه المرحلة والتي كان للفرنسيين فيها دورا بارزا، فقد تجلت في ميدان الهندسة العسكرية والبحرية، حيث نجد أن سليم الثالث قد أحس بمدى أهمية وجود مهندسين عسكريين ذو كفاءة عالية، لذلكقام بإعادة فتح مدرسةسولتزي(Sulltzé) [23] من جديد، مع الاستغناء عن المدرسيين والمسؤولين السابقين فيها واستبدالهم بأساتذة جدد، أغلبهم كانوا تلاميذ الجنرال الفرنسيلافييت[24].

لكن الملفت للانتباه هو القبول باستخدام اللغة الفرنسية كلغة مساعدة في التعليم، الذي كانت برامجه حديثة إلى أقصاالحدود، ففي مدرسة الهندسة كان الطالب يتلقى خلال أربع سنوات من الدراسة معلومات في الرياضيات و الجغرافيا، والجبر و الهندسة وحساب المثلثات، بالإضافة إلى اللغتين العربية والفرنسية، وغير ذلك من المواد، كما حصلت حركة ترجمة واسعة للكتب العلمية والعسكرية[25].

ولقد تخرج من مدرسة الهندسة عثمانيون تحصلوا على درجة مهندس كالفا)(Calfaأو مهندس مساعد، و بذلك تم تكوين نخبة جديدة من المهندسين العسكريين وفقا للبرامج الأوروبية الحديثة.

كما تم إنشاء مكتبة احتوت على ألاف الكتب الفرنسية حول فن الحرب، والعلوم الفيزيائية والرياضيات، إضافة إلى كتب أرسطو(Aristote) [26]، كما تم إصدار الموسوعة الفرنسية وساهم فيها لأول مرة طلاب مدرسة سولتزي[27]، والتي أصبحت فيما بعد مطلوبة بكثرة.

كانالسلطانسليمالثالثيزورتلكالمدرسةباستمرار ،ويسألالطلاببنفسه،ويقومبتفحصالمخططاتبعناية كبيرة،مع إطلاعهعلىالمشاريعالجديدةللإنجازاتالعسكرية، كماأنهكانيشجعالأساتذةوالمهندسين لبذلجهودأكثر[28].

أما في ميدان البحرية فقد تم الاستغناء عن نظام الصناعات البحرية القديمة،واختارالسلطانلقيادةالبحريةالعثمانية،القابودانكوتشوكحسن،هذاالأخيرطلبمنسليمالثالثإحضارمهندسينمنفرنساوالسويد،وبذلكبعثتفرنساإلىإسطنبولكلمنبرون (Brun)

وبونو(Bounoit)، كمابعثتالسويدعدةمهندسينمنبينهمروبي(M.Robé)[29]
الذينكانلهمدوراًكبيراًفيبعثقوةالبحريةالعثمانيةمنجديد،[30] هذابالإضافةإلىدورالعلجانجلزمصطفى[31] فيتدريب وتكوينالعثمانيين[32].

كماقامسليمالثالثبفتحمدرسةالبحرية
[33]منجديد، حيثأعيدتنظيمهامنقبلالقبودانكوشوكحسن،الذيكلفمهندسينأوروبيينبتكوينأكثرمن مائتيطالبعثماني،قسمواإلىفوجينالأوللضباطالبحرية،والثانيلتكوينمهندسينلصناعةالسفن،أماعنالتدريبفقد عملالمهندسونالفرنسيونعلىتكوينالعثمانيينعلىالتنظيماتالتيتدربواعليهافيميناءطولون.

وفيبدايةإصلاحاتهقامسليمالثالثبفتحعدةورشاتلصناعةالسفن،وفيوقتوجيز،تمصنعحواليعشرينسفينةكبيرة، يمكنمقارنتهابأحسنالسفنالفرنسية.[34] ولقدأشارالسيدمصطفىإلىالقوةالبحريةالعثمانية[35]، حيثقال: " ... أمابالنسبةللبحريةوالتقدمالذيأحرزتهخلالوقتقصير،فإننانحيلهإلىأصدقائنامنالأوروبيينالذينجاءواإلىإسطنبو ل،والذينكانواشهودعيانعلىمدىقوتناالبحرية[36]،ومدىصلابةبناءسفننا،ونرجوهمأنيفصحواعنمشاعرهمبهذاا لخصوص... "[37].

إنكلهذهالإصلاحاتكانتقدأنجزتخلالسنواتقليلة،ممازادمنالقوةالبحريةالعثمانيةإلىدرجةأنجوشرو(Juchereau)[38]قال
:"...أنهيمكنوضعالأسطولالعثمانيفيتلكالفترةفيمصافالأساطيلالبحريةللدولالأوروبيةالكبرى... "[39].

وخلالالفترةالممتدةبين1792-
1798،أمكنالقيامبالعديدمنالإصلاحاتالمذكورةأعلاه[40]،والتيكانفيهاالدورالفرنسيبارزاً،لكنالعلاقاتالدبل وماسيةالفرنسية–العثمانيةقطعتبين1798-
1802ووضعالقائمبأعمالفرنسافياسطنبولقيدالاعتقال،بسببغزونابليونلمصر،مماأثرعلىسيرالبرامج الإصلاحية،وشجعالسفيرالروسيلدىالبابالعاليعلىالطعنفيها[41].

كماأنالحملةالفرنسيةعلىمصرأدتإلىازديادنشاطالتيارالمعارضةللإصلاحاتوالمتكونمنالعلماءالمحافظينوالجيشالإ نكشاري[42]، حيثنشبتثوراتفيعدةمناطقبينالجيشالإنكشاريوالجيشالجديد،ولقدوصلتهذهالثوراتحتىمشارفالعا صمةإسطنبول[43].

استغلسليمالثالثفرصةإعلانهللحربعلىفرنسافيالفاتحسبتمبر 1798 لتجريبالجيشالجديد[44]، فيالدفاععنمدينة يافا، حيثأظهراستماتةكبيرةأمامالجيشالفرنسي [45].

إنالاستقرارالسياسيالذيعرفتهالدولةالعثمانية، منذعام 1792 أتاحللسلطانسليمالثالثتجسيدالعديدمنأفكارهالإصلاحية، وفيوقتوجيزاستطاعأنيعيدشيئامنهيبةالدولةالعثمانية، خاصةفيالميدانالعسكري، لكنالحملةأدتإلىتعطيلالعديدمنالمشاريعالإصلاحية، وتخريببعضالانجازاتالمحققة[46]، لذلكيمكنناعتبارالحملةحداًلنهايةمرحلة هامةمنالإصلاحاتالتيقامبهاسليمالثالث، إذتوقفتالمساعداتالفرنسيةللعثمانيينمدةتفوقثلاثسنوات.

مرحلة ما بعد الحملة الفرنسية على مصر:

عادت العلاقاتالعثمانية –الفرنسيةإلىطبيعتهابعقد معاهدةعام 1802، مما أدى إلى عودةالبعثاتالفرنسيةبخبرائهاوضباطهاإلىاسطنبول[47]،

ففيعهدالقنصلية، أبدىنابليوناستعداداكبيراًلمساعدةالدولةالعثمانيةلتقويةجيشها، وهوماأكدهفيرسالةإلىسفيرهفياسطنبولالجنرال برون(Brune)، في 4 مارس 1804، حيثقال:" ...أبلغالسلطانالعثمانيأننانرغبفيمساعدةالدولةالعثمانيةلتسترجعقوتها...."[48]،

وكاننابليونيهدفمنوراءهذهالمبادرةإلىاسترجاعمكانةفرنساالمتميزةلدىالبابالعالي، والتيفقدتهامنذإقدامه علىغزومصر.

استعادتفرنسامكانتهالدىالبابالعالي، بعدوصولالجنرالالسباستياني (Sébastiani)إلى اسطنبولفيصائفةعام 1806[49]، حيثأنهذهالفترةعرفاتدخولنابليونفيحربمعأغلبدولأوروبا، لذلككانتمهمةالجنرالالفرنسيتتمثلأساساًفيالتصديلأيةمحاولةتقاربيبينالدولةالعثمانيةمنجهةوروسيامنجهةأخرى[50]، ومساعدةالدولةالعثمانيةفيحالةإقدامهاتينالدولتينعلىدخولالأراضيالعثمانية[51].

فيالفترةالممتدةبيننهايةسنة 1805 و 1807 كثرتالمراسلاتبيننابليونوسليمالثالث[52]، وتمخضعنذلكقيامفرنسابتقديممساعداتكبيرةقصدتقويةالدولةالعثمانية، حيثأمرنابليونفي 29 جانفي 1807 ببعثمدافعوذخيرة، وكذاخمسةضباطورجالمدفعيةإلىإسطنبول، وأكدنابليون : "...أنهيجبعلىالضباطالفرنسيينأنيجوبوا كلالمقاطعاتالعثمانيةلنثبتمدىرغبتنافيمساعدةسليمالثالث..."

[53]، ويبدوأننابليونكانمستعداًلمنحالسلطانالعثمانيكلمايطلبمنهوهوماأشارإليهفيرسالةإلىالوزارةالخارجيةالفرنسيةفي 11 سبتمبر 1807، حيثقال " ...

أمافيمايخصالضباطالذينطلبتهمالدولةالعثمانية،يجبأنتحددعددهموأسلحتهم،وأن
تكتبلناطلباًمفصلاًحولذلك... [54].

رغم محاولات نابليون تقديم المساعدة للسلطان العثماني في إصلاحاته خلال هذه المرحلة إلا أن تراجع مكانة فرنسا لدى الباب العالي، بعد الحملة الفرنسية على مصر إثر بشكل واضح على التواجد الفرنسي في اسطنبول، خاصة في ظل المعارضة القوية من قبل التيار المحافظ، مما أدى إلى فشل المشروع الإصلاحي لسليم الثالث.

أسباب فشل إصلاحات سليم الثالث:

فيوسطهذاالدعمالفرنسيواصلسليمالثالثإصلاحاتهبإعادةتنظيمالجيشوالبحريةالتييعتبرهاالبعضأحدأهدافهاال
رئيسية، لكنالعثمانيينلميكونوامهيأينبعدلتقبلهذهالإصلاحات،
خاصةًالانكشاريةالذينرأوافيالنظامالجديدخطراًيتهددهم[55]،لذلكثارواوقاموابقتلالعديدمندعاةالإصلاح،
ثمفرضواحصاراًمحكماًحولقصرالسلطانوأرغموهعلىإصدارفرمانيقضيبإلغاءالنظامالجديد،
وتسريحالجنودالذينالتحقوابهفقامسليمالثالثبإلغائه،إلاأنتراجعهعنمشروعإصلاحالجيشلميقنعالانكشارية،
حيثخشواأنيعوديوماًماإلىتنفيذهذاالمشروع،فقرروإعزلهبعدأناستصدروافتوىمنشيخالإسلامجاءفيه"..إنكلسلـ
طانيدخلنظمالإفرنجوعاداتهمويجبرالرعيةعلىاتباعهالايكنصالحاًللملك..."[56].
وبذلككانتكلالمؤشراتفيبدايةسنة1807توحيبنهايةسليمالثالث،
حيثتساءلشيخالإسلامعطااللهأفنديوقال"...سلطانلم
يحترمالقرآن،هليستحقأنيبقىعلىالعرش[57]فذهببنفسهإلىسليموأوضحلهمايريدالشعب،
ودخلعليهمطأطأرأسهقائلا"...ياموليلقدحضرتبينيديكبرسالةمحزنةأرجوكقبولهالتسكينالهيجانوليسيخفاء
لعظمتكمأنعمومالعسكرنادوباسمالسلطانمصطفىابنعمكسلطاناعليهم،
ولاسبيلإلىالمقاومةفالتسليملأمراللهأوفقوأسلممنكلشيء..."،فأظهرالسلطانتجلداًولمتبدوعليهعلاماتالضـ
يفوالقدرمنهذاالحديثوقبلكلامالشيخ[58]فاستلمسليمالثالثمندونمقاومة، ثم
أودعالسجنلكنهندمعلىاستسلامهبسهولةحيثقالفيأخرأيامه"...كانمنالأجدرأنأموتوأناأدافععنحقوقي..."
[59]،وفي 29 ماي 1808،قتلسليمالثالثمن قبل الجيشالانكشاريوتمإلغاءالنظامالجديد[60]،
ويقولالجبريفيمايخصعزلالسلطانوقتله"...فيجماديالثانيةسنة 1223 للهجرة

ووردتأخبارمنإسطنبولعنعزلالسلطانسليمومجيءمصطففأبطلالنظام
....لكنالسلطانمصطفأرسلجماعةوقتلواسليمفي مكانالذييختبأفيهبالخنجر..."[61].

خاتمة:

يمكنتقسيمالدورالفرنسيفيالإصلاحالعثمانيإلىمرحلتين،أولهاكانتقبلالحملةالفرنسيةعلىمصر،التيكانتفيهافرنسا تبعثالضباطوالمهندسينإلىإسطنبولللتكوينالطلبةالعثمانيين،أماالمرحلةالثانيةفكانتفيغضونالسنواتالأخيرةمن عهدسليمالثالث،فإضافةإلىإرسالالخبراءالعسكريينإلىإسطنبول،كانتفرنساتبعثضباطًالمساعدةالجيش العثماني[62]فيالدفاععنأراضيه، كونالمرحلةالثانية شهدت دخولفرنسافيعدةحروببسببتوسعاتنابليونفيأوروبا،وحلمهبالسيطرةعلىالمشرق.

لذلكيمكنالقولإن

الدورالفرنسيفيالإصلاحالعثمانيكانيتماشوفقاًللمصالحالفرنسيةفيالمشرق،أماعنأغراضفرنساوراءذلكفكانت متعددةالأوجه،فمنناحيةمواجهةالخطرالروسيوالإنجليزي،ومنناحيةأخرىالرغبةفيالوصولإلىآسياومجابهةالنفوذا لانجليزيةفيالهند.

لقدأدركسليمالثالثضرورةالإصلاحوكانلهالإرادةفيتحقيقها،

لكنهلميستطعالقضاءعلىالعائقالمتمثلفيالجيشالانكشاري،الذياستمرخطرهحتىفيعهدالسلطانمحمودالثاني (1808-1839)،لذلكلايمكنالحكمأنسليمالثالثفشل كلية فيإصلاحاته، فالرجلقدحكمفيخضمفترةصعبةتخللتهاأخطاراًخارجيةجمة، وثوراتداخليةفيالأقاليمالتابعةللدولةالعثمانية،لكنرغمذلكحاولضمانأمندولتهمنخلالالقيامهبتبنيمشروعإصلا حيعلىالنمطالأوروبي،شملكافةمؤسساتالدولةوذلكبمساندةمنأوروباعامةوفرنساخاصة.

الهوامش:

[1]– خالد زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، الطبعة الأولى، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1983، ص.70.

[2] – خالد زيادة، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت، 1983. ص.21.

[3] – خالد زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، مرجع سابق، ص.71.

[4] - M. Devez, L'Europe et le Monde a la fin de 18[eme] siècle, édition Albine Michel, paris, 1970, p.620.

[5] – خالد زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، مرجع سابق، ص.71.

[6] – خالدزيادة، اكتشاف التقدم الأوروبي، دراسات في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، الطبعة الأولى، دار الطليعة،بيروت، 1981، ص.54.

[7]– خالد زيادة، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر، مرجع سابق، ص.20.

[8] – حملة فرنسية مصغرة تذكر بحملة نابليون على مصر بعد خمسة عشر سنة.

[9]– خالدزيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، مرجع سابق، ص.70.

[10]– بعثه الملك الفرنسي لويس السادس عشر إلى اسطنبول، أين بقي حوالي أربعة عشر سنة ، وكون عدة تلاميذ بعدما انشأ مدرسة الرياضيات ولقدكلف ببعض العمليات العسكرية خلال الحرب العثمانية الروسية سنة 1787.

[11] - L.B. Juchereau, Histoire de l'empire ottoman depuis 1792 jusqu'a 1844, T.1,imprimerie de Guiraud, paris, 1844, p.317.

[12]– خالد زيادة، تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا، مرجع سابق، ص.70.

[13] – عين صدر أعظم عام 1782 ، عمل بجدية لدفع برامج الإصلاح نحو الأمام في عهد السلطان عبد الحميد الأول ،مماأدىإلى قتله من طرف التيار المحافظ،انظر خالد زيادة:تطور النظرة الإسلامية إلى أوروبا .

[14] - S .Mardin, L'influence de la révolution française sur l'empire ottoman, inrevue internationales des sciences sociale, N.119, Unesco ères,février, 1989, p.25.

[15]–خالد زيادة، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر مرجع سابق، ص.20.

[16]–خالد زيادة، اكتشاف التقدم الأوروبي، مرجع سابق، ص.54.

[17] - L.B.I DeTesta, Recueil des traités de la porte ottomane avec les puissancesétrangère, T. 2, Amayot éditeur des archives diplomatique, paris, 1867, p.208.

[18]- Ibid., pp.208, 209.

[19] – المسؤولون العثمانيون لا يدخلون مسيحيين في نظامهم إلا كمهندسين عسكريين و كمكونين في الأسلحة و البحرية ، وكان يجب على كل مسيحي يريد قيادة القوات العثمانية أن يعتنق الدين الإسلامي. انظر جوشرو.

[20]- L.B.I De Testa, Op.cit, p.208

[21] - L.B. Juchereau, Op.cit, p108.

[22]- E. De Mercière, Uneambassade à Constantinople, la politique orientale de larévolution Française, T 2, librairie Félix Alcan, paris, 1927, p.213.

[23]– هذه المدرسة أسسها الجنرال الفرنسي لافييت ، توقف نشاطها لبعض الوقت ثم أعيد فتحها من قبل سليم الثالث ، وكان يدخلها أطفال بين 8 و 12 سنة وقصد تشجيعهم كانت تمنح لهم منحة تقدر ب 15بيزاستر. انظر مارسيير الجزء الثاني .

[24] - L.B Juchereau,Op.cit, p.371.

[25]– خالد زيادة، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر مرجع سابق، ص.24.

[26] – ولد سنة 384ق.م بمستعمرة يونانية تسمى فستجيره ، و توفي سنة 322ق.م و من بين كتبه نجد التحليلات الأولى و التحليلات الثانية.

[27]– الملاحظ هو أن المدراء العامين لهذه المدرسة في تلك الفترة كانوا فرنسيين.

[28] - L.B. Jucheraeu, Op.cit, p.371-373.

[29]- ليس لدينا معلومات حول حياة أو أعمال هؤلاء المهندسين حيث لم نعثر على ادني إشارة إليهم في كل المصادر و المراجع التي عدنا إليها.

[30]-L.B. Juchereau, Op.cit, p397, 398.

[31]– ضابط انجليزي اعتنق الإسلام ، أسس عدة ورشات لبناء السفن ، كما كلف أيضا بتدريب العثمانيين .انظر جوشرو.

[32] - G .Bremond, L'islam et les questions musulmanes des points du vue français, Charles lavauzelle, édition militaire, paris, 1924, pp.49,50.

[33]– هذه المدرسة أسسها البارون دو توت الذي جاء إلى اسطنبول في عهد السلطان مصطفى الثالث (1757- 1773) و هو ضابط فرنسي من اصل مجري أرسلته الحكومة الفرنسية لإجراء تحقيق حول القوة العسكرية العثمانية ، فمكث وقتا طويلا في اسطنبول ، وأسهم في إحداث العديد من المؤسسات .انظر:مذكرات البارون دو توت الجزء الثالث.

[34]- L.B. Jucheraeu, Op.cit, p.398.

[35]–كانت البحرية العثمانية قد استعادت شيئا من قوتها في نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر ن لكن بعد وفاة كوتشوك حسن في سنة 1803 و عزل سليم الثالث سنة 1807، عادت إلى ما كانت عليه من قبل.

[36]– يبدو أن السيد مصطفى كان واثقا من قوة البحرية العثمانية لذلك طلب من الأوروبيين أن يشهدوا على ذلك.

[37]– السيد مصطفى، نقد حالة الفن العسكري و الهندسة و العلوم في القسطنطينية سنة،1803، تحقيق خالدزيادة، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت 1979، ص.82.

[38]– ضابط فرنسي ساهم في تكوين و تدريب العثمانيين له كتاب حول تاريخ الدولة العثمانية في أربعة أجزاء.

[39]- L.BJucheraeu,Op.cit, p.399.

[40]– اشرنا إلى بعض الإصلاحات العثمانية و التي كان فيها الدور الفرنسي بارزا و لم نذكر كل الإصلاحات التي قام بها سليم الثالث .

[41]– خالد زيادة، اكتشاف التقدم الأوروبي، مرجع سابق، ص.55.

[42] - M. Devez, Op.cit, p.621.

[43]- Y. Fehmi, Histoire de la Turquie,LibrairieAcadémique,paris,1909,p.173.

[44]–استعمل الجيش العثماني الجديد لأول مرة ضد الفرنسيين، الذي كان لهم دورا بارزا في إنشاءه. انظر:يوسف فهمي.

[45] - L.B .Jucheraeu, T.2, Op.cit, pp, 109,110.

[46]- G .Bremond,Op.cit, p.50.

[47]– خالد زيادة، اكتشاف التقدم الأوروبي، مرجع سابق، ص.55.

[48]-Correspondances de Napoléon 1er, vol. 9,Henri Plon, paris, 1860, p.290.

[49]–خالد زيادة، اكتشاف التقدم الأوروبي، مرجع سابق، ص.55.

[50]– كان نابليون يهدف في تلك الفترة إلى الوصول بقواته إلى أقصى الشرق ، لذلك أراد أن يقوي الدولة العثمانية و التي في حالة وجود صراع عسكري ستقوم بغلق الدانوب في وجه أعدائه خاصة انجلترا و روسيا .

[51]- G. Remerande,Les grandes figures de l'orient, T.2, orientaliste Paul Gauthier,paris, 1928, p.11.

[52]– لتفاصيل أكثر انظر: تاستا الجزء الثاني ، أو مراسلات نابليون الجزء 12 و 14 و 15.

[53]- L.B.I De Testa, Op.cit, pp.391 ,392.

[54]- Ibid., p .300.

[55]- C. Lamouche, Histoire de la Turquie depuis ces origines jusqu'a nos jours,Payot,paris, 1953, pp.205,206.

[56]- عبد العزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الأول ، مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، 1984 ، ص.529.

[57]-Y.Fehmi,Op.cit, pp.177, 178.

[58]- عبد المنعم الهاشمي،الخلافة العثمانية،الطبعة الأولى، دار ابن حزم للطباعة و النشر والتوزيع، بيروت،2004، ص.422.

[59] - Y.Fehmi,Op.cit, pp, 178.

[60] - C. Lamouche,Op.cit, p.206.

[61] – عبد الرحمن الجبرتي ، المصدر السابق ، ص.80.

[62] – يمكن أن نذكر في هذا الصدد دور الجنرال الفرنسي سباستياني في الدفاع عن اسطنبول أثناء التهديد الإنجليزي لها سنة 1807.